

ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ٠٧ / ٠٢ / ٢٠٢٥

يتابع حضرته الحديث عن غزوة خيبر:

خرج من المدينة جيش الصحابة المكوّن من ألف وستمئة مخلص وكان فيه مئتا فارس، ولكن قبل المغادرة أرسل النبي ﷺ تحت قيادة عبّاد بن بشر الأنصاري فريقاً من العيون وكانت مهمته حراسة الطرق أمام الجيش واستطلاع الأوضاع.

وقد حدثت أثناء هذا السفر أن شوهد في إحدى الليالي شيء يضيء أمام الجيش، وبعد استطلاع الأمر علم أن جندياً من الجيش الإسلامي خرج من الجيش وكان يتقدم الجميع، وكانت خوذته تلمع في ضوء القمر، فنصحته النبي ﷺ بالسير مع الجيش.

نزل النبي ﷺ أثناء تقدمه نحو خيبر بالصهباء، وصلى فيه العصر والمغرب والعشاء. وبعد الصلاة قدم حضرته خطته الحربية للدليلين الذين استأجرهما، حيث كان ينوي مهاجمة خيبر بطريقة يصبح حاجزاً بين أهل خيبر وبلاد الشام حتى لا يتمكنوا من الفرار نحو الشام، وفي نفس الوقت أن يكون حاجزاً بينهم وبين قبيلة بني غطفان حتى لا يتمكنوا من تقديم أية مساعدة لهؤلاء اليهود.

تواصل النبي ﷺ مع بني غطفان وأرسل إليهم كتاباً كتب فيه أن يبقوا على الحياد في حرب خيبر، وأبلغهم بوضوح أن هذا وعد الله لي أن ينصرتني على خيبر. فرد عيينة سيد عسكر غطفان، لن تتخلى عن حليفنا. هؤلاء اليهود أصحاب الحصون المتينة، وإن عدد جنودهم الشباب أيضا كبير وهم يملكون السلاح أكثر منكم بكثير، إذا واجهتموهم فسوف تملكون جميعا.

كان جيش غطفان الذي قوامه أربعة آلاف جندي يأتي خلف الجيش الإسلامي ليمنعوا المسلمين من الوصول إلى خيبر، لكن قدر الله ظهر فعاد هذا الجيش الغطفاني فجأة إلى بيوتهم.

حيث سمع قائد جيش الغطفانيين من خلفه نداء قويا حيث كان منذرٌ يندُرهم قائلاً إن كتائب المسلمين أغارت على بيوتهم وأموالهم ومواشيهم، وأنهم يأسرون نساءهم وأولادهم ويأخذون أموالهم، فعادوا فوراً، ولم ينصروا اليهود، وكان ذلك نصراً من الغيب، وكان نداء إلهياً. كما كان النبي ﷺ قد قال نصرتُ بالرعب.

أما النبي ﷺ فتابع سفره إلى خيبر ولما تراءت له حصون خيبر في ظلام الليل قال للصحابة، قفوا، فوقفوا كلهم. ثم قال: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَنَ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَنَ وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرِ أَهْلِهَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ".

ثم سار رسول الله ﷺ حتى إنتهى إلى المتزلة، فعرّسَ رسولُ الله ﷺ بها ساعة من الليل، ولم يمكث ﷺ في المتزلة طويلا بل قد غير مكان الجيش. حيث جاءه الحباب بن المنذر وقال: يا رسول الله، إنك نزلت متزلك هذا، فان كان من أمر أمرت به فلا نتكلم، وإن كان الرأي تكلمنا. فقال رسول الله ﷺ: "هو الرأي". فقال الحباب: يا رسول الله، دنوت من الحصون ونزلت بين ظهري النخل، والأرض مالحة. وأنا أعرف أهل النطاع، ليس قوم أبعد مدى سهم منهم، ولا أعدل رمية منهم، وهم مرتفعون علينا، ينالنا نبلهم، ولا نأمن من بياهم، يدخلون في خمر النخل فتحولّ يا رسول الله ﷺ إلى موضع آخر. فقال رسول الله ﷺ: "أشرت بالرأي، ولكن نقاتلهم هذا اليوم" ثم دعا رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة، الذي كان مسؤولاً عن الحراسة، وقال له: "انظر لنا متزلا بعيدا من حصونهم." ففعل. لكن بما أن النبي ﷺ كان قد قرر مسبقاً أن القتال سيكون اليوم من هذا الموقع، لذا بعد انتهاء المعركة مساءً، انتقل الجيش الإسلامي بأكمله إلى الموقع الجديد.

وجاء تفصيل الحرب كالتالي: ألقى رسول الله ﷺ كلمة وجيزة قبل بدء المعركة فقال مخاطبا الصحابة: "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله تعالى العافية، فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم، فإذا لقيتموهم فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تقتلهم أنت." ثم أذن رسول الله ﷺ في القتال، وحثهم على الصبر، وأول حصن حاصره حصن ناعم الذي كان حصنا متينا. وقاتل النبي ﷺ يومه ذلك أشد القتال، وقاتله أهل النطاة أشد القتال، كان العدو يمطر السهام بكثافة، لكن المسلمين كانوا يطلقون السهام بجذر لقلة عددها، بل كانوا يلتقطون سهام اليهود الساقطة ويعيدون إطلاقها عليهم.

في ذلك اليوم الأول، تكبد المسلمون خسائر فادحة، حيث أُصيب خمسون مسلماً بسهام من الحصون. عند المساء، توجه رسول الله ﷺ إلى الرجيع وأمر الناس بالانضمام إليه. كان هذا هو الموقع الذي تم اختياره بناءً على مشورة الحباب، وأصبح موقعا مركزيا للمسلمين.

ومن هنا ظل يُرسلُ الصحابة إلى عشرة أيام متتالية لفتح حصن ناعم. إلا أن فشل هذه المهمة عدة مرات وإصابة الصحابة بالجراح وشهادة صحابين شجع اليهود أكثر. فقال رسول الله ﷺ ذات ليلة: "لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ عَلَيَّ يَدِيهِ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ". (صحيح البخاري،

كتاب المغازي)

ثم دعا النبي ﷺ لعليٍّ وأعطاه الراية.

كان أول من خرج للمبارزة من حصون خيبر حارث، أخو مرحب. فقتله علي رضي الله عنه، فعاد أصحاب حارث إلى الحصن. كذلك قُتل القائد اليهودي عامر، حيث خرج للمبارزة وكان رجلاً ضخماً الجثة. فخرج له علي رضي الله عنه ووجه إليه عدة ضربات، لكن لم تؤثر أي منها. ثم ضربه علي رضي الله عنه على ساقه فجلس، فقتله رضي الله عنه وأخذ سلاحه.

ولم يذكر المؤرخون أي غنائم وسلاح حصل عليها المسلمون عند فتح قلعة ناعم التي كانت أمنع قلاع خيبر. من الممكن أن المسلمين لم يغنموا عند فتحه أي شيء يذكر، لأن اليهود كانوا قد نقلوا نساءهم وأطفالهم إلى قلاعهم الأخرى سلفاً استعداداً للطوارئ، ولما انهزموا وعجزوا عن صد هجمات المسلمين على قلعة ناعم انتقلوا هم أيضاً إلى قلعة الصَّعب بن معاذ، ولم يقع أي منهم أسيراً في أيدي المسلمين في المعارك التي جرت في تلك القلعة.

بعد ذلك حث حضرته أفراد الجماعة على الدعاء لتحسُّن أوضاع العالم، وأوضاع المسلمين خاصة، فادعوا كثيراً للمسلمين عموماً وللفلسطينيين خاصة. كذلك الدعاء للأحمديين في باكستان أيضاً، فإن أوضاعهم تزداد سوءاً من حين لآخر بسبب المعارضة. وادعوا للأحمديين في بنغلاديش أيضاً بأن يحميهم الله تعالى من كل أنواع المعارضة والهجمات. وادعوا للمظلومين في كل مكان وللأحمديين أيضاً بأن يحميهم الله بحمايته وأمانه وأن يلهم أهل الدنيا الصواب، ويجعلهم يهتمون بإرساء دعائم الأمن والسلام في العالم. وفقنا الله تعالى للدعوات.
